دور الخواص والعوام في تحصين المجتمع وأسباب الإخفاق في الحركة الجماهيرية

الطبعة الأولى

١٤٣١هـق ٢٠١٠م

تأليف

السيد أحمد الحسيني

هوية الكتاب

اسم الكتاب: .....التحصين

تأليف:.....السيد أحمد الحسيني

الناشر:.....دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:.....الأولى ١٤٣١هـ.ق

جميع حقوق الطبع محفوظة

كيف يمكن الوصول بالمجتمع إلى التماسك وعدم الانزلاق مرة أخرى في مثل الأحداث المأساوية التي مرت بنا كحادثة يوم عاشوراء وشهادة الصدر الأول والثاني وشهيد المحراب؟ ولا يمكن لنا الوصول إلى ذلك إلا بتحصين المجتمع بالوعي الثقافي الثوري الأصيل، وخلق جيل من الشباب المؤمن المتبصر الواعي من خواص الحق الذين لا تزلزلهم الرياح.

ونحن في العراق، الأرض التي دارت عليها أحداث التاريخ وتكررت مراراً دون أن نأخذ العبرة مما حدث، هل وصل مجتمعنا إلى التحصين من الانزلاق في حوادث أخرى؟

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الإهداء

إلى القمم الشامخة في علياء المجد

إلى هامات الذرى وعرانين الوغى

إلى أصحاب البصائر والمستميتين في الله

إلى الشهيدين الصدرين العظيمين والى شهيد المحراب

إلى الشهيدة بنت الهدى وأخواتها المؤمنات

إلى الشهداء من أبناء العراق جميعاً

أقدم هذا الهدي

راجياً من الله القبول

المقدمة

لقد أكد القرآن الكريم على أخذ العِبَر من حوادث التاريخ للأمم والأقوام السالفة والبائدة، ومعرفة ما حلّ بهم نتيجة تصرفاتهم وتعاملهم مع الحوادث المختلفة لتقييم النتائج الحاصلة والاعتبار والتبصر، فيما إذا حلّت بنا مثل هذه الحوادث في مجالات الحياة المختلفة، فالقصة التاريخية التي تكلم عنها القرآن الكريم هي حكاية عن الحوادث ومسبباتها وانعكاس ذلك على المجتمعات الغابرة في التعاطي السلبي والايجابي مع الحدث، وهو مجهود عظيم وكبير راحت على طريقه دماء وتضحيات جسمية، وبذلت لأجله جهود ضخمة وسلكت فيه طرق متعددة قد تكون هي الهم في أخذ البصيرة والعبرة من معترك الأقوام السالفة وما حل بها، فالمشروع القرآني هو استنطاق الحوادث التاريخية لهؤلاء واستخلاص الحقيقة التاريخية للتعامل مع الواقع اليومي المعاش، لننتخب مداخل الأمن والرشاد ونحيد عن مداخل الهلكة والفساد،

فالتاريخ وكما يقول المثل يعيد نفسه، وعلينا نحن أن لا نعيد مآسي السلف وان نستفيد من تلك العبَر والعظات العظيمة للفوز بالنجاة، وإن أعظم ما حلّ بنا نحن المسلمون هي قضية شهادة سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة في حادثة كربلاء ذات الأبعاد الإنسانية العميقة والتي أثرت وغيرت مسرى التاريخ إلى هذه اللحظات ولكن المؤسف حقاً إن أحداً لم يكشف لنا النقاب عن تفاصيل الحدث كما هو ولماذا حدث وما هي الأسباب الحقيقة التي دفعت المجتمع آنذاك إلى ارتكاب هذه الجريمة والانقلاب على الأعقاب الذي صاحب دخول عبيد الله بن زياد والي البصرة إلى الكوفة ليحدث بها هذا الزلزال الحقيقي ويعيد صياغة الأحداث من جديد ويقلب الأمور ويعيد إلى الوراء التنظيم الجماهيري الهائل للكوفيين ويصيغ لهم قناعات جديدة أدت إلى حدوث الكارثة التاريخية الأليمة في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في غفلة تاريخية كبرى وخطأ عنيف هزّ الأمة وكيانها إلى هذه اللحظة في أعظم ردة فعل جماهيري استحوذ على أجيالها وامتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً لطخ بالسواد والحزن والبكاء تاريخها، ولكن دون أن تكون هناك عِبرة تاريخية في الجانب السياسي للحدث، نعم لقد

استمر الجانب المأساوي لكربلاء وسيطر على قلوب شيعة علي عليه السلام إلى هذه اللحظة وسوف يستمر إلى القيامة ولكننا لم نستفيد سياسياً وحركياً من المأساة في مقاطع زمنية مختلفة مرت علينا كان منها مأساة التسلط البعثي الكافر على العراق والتي استفاد منها حزب البعث في استغفال الأمة وجرها إلى نفس المأساة التي مرت على المجتمع الكوفي في تعامله مع الثورة الحسينية خطوة بخطوة، وليس هذا آخرها، بل لازال التاريخ يجري على غير ما يريد المخلصون، وما ذلك إلا لأنهم لم يأخذوا بزمام المبادرة ورص صفوفهم وقراءة التاريخ قراءة حركية مع تحليل للأحداث وملاحظة كيف يمكن لنا أن نستفيد منها في أخذ العبرة التاريخية خصوصاً ونحن نعيش على أرض الحادث المرير الذي صنعته أيدي أجدادنا هنا في كربلاء العراق.

الفصل الأول

دور الخواص والعوام في الجهاد

معنى الجهاد في الإسلام

واحدة من المفردات البارزة في الثقافة الإسلامية ـ والتي لها مصاديق جلية أكثر في تاريخ صدر الإسلام وبدرجة أقل طوال الزمن التالي له ـ هي ثقافة المقاومة والجهاد.

وليس الجهاد هو الجهاد في ميدان الحرب فحسب، بل كل جهد وسعي يبذل في مواجهة العدو جهاد[1] أيضاً.

لربما يمارس البعض عملاً ويتحمل عناءً أيضاً فيقولون: بأنهم يجاهدون، كلا فإن أحد شرائط الجهاد هو أن يكون في مقارعة الأعداء، طبعاً تارة الجهاد في ميدان الحرب فهو الجهاد الحربي، وأخرى في مجال السياسة فذلك هو الجهاد السياسي، وثالثة على صعيد الثقافة وهو الجهاد الثقافي، وكذلك في إطار البناء والأعمار فهو الجهاد من أجل البناء، فمن الطبيعي أن

---

(١) عن النبي الأعظم ﷺ انه رأى بعض أصحابه منصرفاً من بعث كان بعثه فيه، وقد انصرف وغبار سفره وسلاحه عليه يريد منزلة فقال ﷺ: انصرف من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فقيل له: أو جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال: نعم «جهاد المرء نفسه». انظر أمالي الصدوق: ص٣٣٧.

توجد هناك ميادين أخرى لكن شرطها الأول:

أن يكون فيها سعي وبذل جهد، والشرط الثاني: أن تكون في مقابلة الأعداء.

وهذه سمة بارزة في الثقافة الإسلامية ولها نماذج كثيرة أيضاً.

وواحدة من مفردات هذا الجهاد هو الجهاد الفكري أيضاً، بمعنى أن العدو ربما يحاول تضليلنا وتحريف أفكارنا فنبتلي بالأخطاء والشبهات ـ لا سمح الله ـ، إذن فعلى كل من يسعى في سبيل إنارة أفكار الناس أن يتصدى لأي انحراف ويمنع من أي سوء فهم، ولأنه في مواجهة العدو، فهو جهاد، ولعله يعتبر اليوم من أهم أقسام الجهاد.

فالقرآن يدعونا إلى النظر في وقائع التاريخ[1] وأخذ العبر

---

(١) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:١١١).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ (طه: ١٢٨).

منها، ولعل البعض يجلس وينسج فلسفة من أن الماضي لا يمكن أن يكون للحاضر[1].

هذه الكلمات يطلقها البعض ويريدون تأطيرها بأساليب

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥٨).

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة:٢٦).

(١) ساهم بعض كتاب المسلمين في كتاباتهم الحديثة في طعن الفكر الإسلامي والثورة الإسلامية مستلهمين من تراث الغرب وثقافته ومعتقداته ما أسموه بالحداثة وحاولوا إغراء الشباب المسلم بكتاباتهم التي صوروا بها الإسلام على انه تراث من الماضي لا ينهض بالحاضر وقد أفشلت الجمهورية الإسلامية خرافاتهم بتطبيق الشريعة والرقي بالدولة إلى مصاف الدول العظمى في وقت قصير.

فلسفية ـ حسب تصوراتهم ـ ولكنهم لا يستطيعون ذلك، فلا شأن لنا بهم.

استلهام العبر من التاريخ

إن القرآن الصادق المصدّق يدعونا لأخذ العبر من التاريخ، واستلهام هذه العبر من التاريخ يستدعي هذا القلق الذي ينتاب المخلصين أحياناً، لأنه هناك قضية في التاريخ لابد أن نتوجس ونتحسس إزاءها إذا ما أردنا الاعتبار بها[1]. وهذا الهاجس له علاقة بالمستقبل... لماذا ولم هذا التخوف؟ ما الذي حدث؟ وما الذي سيحدث؟

إن تلك الواقعة حدثت في صدر الإسلام، وانه من المناسب إذا ما تساءلت الآمة الإسلامية (بعد خمسين عاماً من وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم) يصل أمر الدولة الإسلامية إلى هذا الحد الذي يجتمع فيه أولئك الناس المسلمون من وزيرهم، أميرهم، قائدهم، عالمهم، قاضيهم، ومقرئهم، في الكوفة، ويرملون

(١) هي قضية تراخي الأمة وغفلتها عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وخذلانه ومناصرة يزيد بن معاوية ضده.

بالدماء فلذة كبد النبي ﷺ وبتلك الحالة المفجعة في كربلاء؟[1] يجب أن يتأمل الإنسان ويفكر جيداً، لِمَ حدث هذا؟

ولسنا بصدد طرح دروس عاشوراء في الشجاعة والإيثار والتضحية وأمثالها، إن عبر عاشوراء أهم من دروس عاشوراء، بل إن الأمر قد وصل إلى أن تساق بنات الرسالة وآل الرسول

---

(١) قال لهم الإمام الحسين عليه السلام: «**أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألستُ ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه. وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت إن الله يمقت عليه أهله ويصر به من أختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟**» انظر معالم المدرستين، مرتضى العسكري: ج٣، ص٩٦.

وأمام مرأى الناس في الأزقة والأسواق ويتهمونهم بالخوارج[١] وليس معنى الخوارج أنهم قد جاؤوا من بلد أجنبي (كما يصطلح عليه اليوم عند العامة) بل يطلق على الخارجي في الثقافة الإسلامية بأنه من يخرج على الإمام العادل، ومن يفعل ذلك فعليه لعنة الله ورسوله والمؤمنين، فإن كل المسلمين في ذلك الوقت يمقتون الخوارج.. «من خرج على إمام عادل فدمه مهدور» مع أن الإسلام قد أعطى أهمية بالغة لدماء الناس.

إن هؤلاء كانوا يصفون ابن رسول الله ﷺ، ابن فاطمة الزهراء عليها السلام، ابن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه خارج على الإمام العادل! وهذا الإمام العادل هو يزيد بن معاوية!! ونجحوا في عملهم هذا، وهؤلاء الظلمة هم جهاز الحكومة ويقولون ما

---

(١) اتهم الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره وعائلة رسول الله ﷺ بالخروج على السلطان الذي صيرته الدعاية الأموية ومن قبلها مدرسة الخلفاء بأنه ظل الله في الأرض وأنه خليفة رسول الله ﷺ والخارج عليه يقتل، ويكفر، وهذه التهمة الجاهزة كانت سلاح السلطة آنذاك بعد اغتصاب الخلافة وتحويلها إلى ملك عضوض.

يشاءون، لكن لماذا صدّق النـاس؟ ولمـاذا ظلّـوا سـاكتين[1]؟! وهذا أصل القضية.

(١) أهل العراق كانوا يعلمون حقيقة الأمر وسكتوا إلا الخواص ومنهم عبد الله بن عفيف الأزدي الذي اعترض في المسجد على عبيد الله بـن زيـاد بكـل جرأة وشجاعة قل نظيرها في التاريخ حيث خطب الطاغية عبيد الله بعد شـهادة الإمام الحسين عليه السلام في المسجد الأعظم وقـال: الحمـد لله الـذي أظهـر الحـق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب الحـسين بـن علي وشيعته، فوثب إليه عبد الله بن عفيف وقال: يا ابن مرجانة إن الكذاب بـن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانـه أتقتلـون أبنـاء النبيـين وتتكلمون بكلام الصديقين، ثم انتزعه فتيته من الأزد واتوا به منزلـه إلا أن ابـن زياد استطاع إرسال سرية قتلته في بيته وصلبوه في السبخة في الكوفة رحمه الله، في حين كان أهل الشام مغفلين تماما لما مارسه الإعلام الأموي من تشويه للحقائق حتى كاد الأمر أن يصل بهذا الإعلام إلى تصوير معاوية بأنه نبي مرسل. وعندما استشهد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في محراب الصلاة في مـسجد الكوفـة قال أهل الشام متسائلين: «**أوَ علـيٌ كـان يـصلي؟!**»، هكـذا اسـتغفلت الدعايـة الأموية أهل الشام تماماً.

استرخاء الأمة وغفلتها

ما الذي حصل حتى وصل الأمر إلى هذا الحد؟ لماذا تصل هذه الأمة إلى هذه الدرجة من الغفلة والتي كان لها ذلك المقدار من الدقة والفهم في جزئيات الأحكام الإسلامية والآيات القرآنية، أن تتساهل وتتراخى وتغفل في مثل هكذا قضية واضحة؟ مما أدى إلى وقوع هكذا فاجعة، إن هذا الأمر يقلق الإنسان، فهل أن مجتمعنا أقوى وأكثر استحكاماً من مجتمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام؟ وماذا نفعل حتى لا يقع مثل هذا؟

فإذا لم نتصدَّ اليوم لهذه القضية فمن الممكن أن نرى وفي وقت ما أن مجتمعنا الإسلامي بعد خمس أو عشر سنوات، قد يصل به الأمر إلى ذلك أيضاً!... لا تتعجبوا، إلا إذا كانت هناك عيون ثاقبة النظر تنفذ إلى الأعماق، حارس أمين يهدي إلى الطريق، وأناس أصحاب فكر يوجهون الأمور، وإرادات صلبة تكون سنداً لهذه الحركة.

قطعاً سيكون هناك سد منيع وقلعة محكمة، لا يستطيع احد اختراقها، وإلا إذا تركنا الأمور فسيتكرر الوضع وتذهب كل هذه الدماء هدراً.

في ذلك العصر وصلت الأمور إلى حد أن يجلس ابن وحفيد أولئك الذي قُتلوا بيد علي وحمزة عليهما السلام وبقية قادة الإسلام في معركة بدر، ابن وحفيد نفس هؤلاء الأفراد يجلس في مكان النبي صلى الله عليه وآله، ويضع أمامه رأس فلذة كبد الرسول صلى الله عليه وآله ويضرب شفتيه وأسنانه بعود الخيزران ويترنم بأبيات من الشعر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

يعني لينهض قتلانا ببدر[1] ويروا ماذا فعلنا بقاتليهم.

---

(١) لمّا دخلت سبايا بني هاشم وعيال الرسول وحرم الله إلى مجلس يزيد جعل يتمثل بهذه الأبيات:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

هكذا حدث، هنا يقول القرآن اعتبروا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]، **سيروا في صفحات التاريخ وشاهدوا ماذا حدث، كونوا حذرين ويقظين!**

ومن أجل أن يتحرك هذا المعنى ويأخذ مكانته في الثقافة المعاصرة من خلال أصحاب الرأي والفكر والنظر يجب أن يعملوا من اجل ذلك.

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وكان قتلى يوم بدر سبعين مشركاً وأسر منهم سبعين أيضاً وقال محمد بن إسحاق إن أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي عليه السلام. ومن قتلاهم أمية بن خلف وعتبة وشيبة وأبا جهل والوليد، وكانت هند بنت عتبة أم معاوية قتل لها أبوها وعمها وأخوها. وهو الثار الذي تحدث عنه يزيد.

(١) سورة النمل، الآية: ٦٩.

الخواص والعوام

لاحظوا جيداً، انه عندما تتمعنون في أي مجتمع في أي مدينة، في أي بلد تجدون الناس فيه ينقسمون إلى قسمين: قسم هم الذين يعملون وفق فكر وفهم ووعي وتصميم ويشخّصون طريقاً ويتحركون تبعاً له ـ ولا شأن لنا بحسنه أو قبحه ـ فهؤلاء قسم ونطلق عليهم اسم «الخواص».

والقسم الثاني: وهم ليسوا من أصحاب النظر ليرى أيَّ طريق صحيح أو حركة صحيحة فهم لا يفهمون، ولا يفكرون ولا يحللون ولا يدركون، بل عندما يرون بأن الأجواء هكذا يتحركون تبعاً لها، ونطلق على هؤلاء اسم «العوام»؛ فلهذا يمكن تقسيم المجتمع إلى «خواص» و «عوام».

فمن هم الخواص إذن؟ هل هم طبقة خاصة؟ كلا إن بين أولئك الذين نسميهم بـ «الخواص» يوجد أناس متعلمون، كما يوجد أناس أميون أيضاً، فأحياناً يكون الشخص أمياً لكنه جزء من الخواص، يدرك ماذا يعمل، ويصمم ويشخص على الرغم من أنه يفتقد المستوى الدراسي ولم يذهب إلى المدرسة ولا

يحمل شهادة ولا يرتدي الزي العلمائي ولكنه يدرك القضايا ويشخصها، يقول السيد الخامنئي: في أيام الثورة قبيل انتصارها كنت مُبعداً إلى مدينة «إيران شهر» وكان يأتي إلينا من مدينة قريبة منا مجموعة من الأشخاص كان احدهم سائقاً ليس من أهل المعرفة والثقافة ويقال لهم بحسب الظاهر «عوام» ولكنهم كانوا من الخواص؛ ويأتون لرؤيتنا في مدينة «إيران شهر» بانتظام، ويتحدثون معنا عن حواراتهم مع إمام احد المساجد في مدينتهم، وكان ذلك العالم رجلاً طيباً لكنه كان من العوام.

لاحظوا جيدا أن سائق سيارة الحمولة من تلك المدينة كان من الخواص وهذا العالم المحترم وإمام الجماعة من العوام، فقد تحدث يوماً هذا العالم وكان يقول: لماذا عندما يذكر اسم النبي ﷺ تصلون عليه مرة واحدة بينما عندما يذكر هذا الرجل ـ يقصد الإمام الخميني قدس سره ـ تصلون ثلاثاً؟ لم يفهم ذلك!

فكان يجيبه السائق قائلاً: إننا في اليوم الذي ينتهي فيه جهادنا ويتنصر به الإسلام في جميع البقاع وتنتصر الثورة، سوف لا نكرر هذه الصلوات ثلاثاً، ولا حتى صلاة واحدة، وأما اليوم فإننا نعتبر هذه الصلوات الثلاث صلاة جهاد!

فلاحظوا جيداً إن هذا السائق واع بينما رجل الدين لم يكن واعياً.

فنحن عندما نقول: «الخواص» ليس معناه نمطاً خاصاً، بل يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة، ويمكن أن يكون متعلماً أو غير متعلم أو أن يكون غنيا أو فقيراً، ومن الممكن أن يكون موظفاً في أجهزة الدولة أو من المعارضين لأجهزة الحكومة الطاغوتية، فعندما نطلق مصطلح «الخواص» إنما نعني أولئك الذين يتخذون الموقف المناسب وينتخبون طريقهم وفق تفكير وتحليل، فهم يفهمون ويصممون ثم يعملون، هؤلاء هم الخواص، ويقابلهم العوام الذين يتبعون الجو العام فإذا ما اتجه جهة اتجهوا معه بدون تحليل.

فعندما يقول الناس: «عاش الـ..» هو ينظر ويقول: «عاش الـ..» وإذا قال الناس: «الموت للـ..» ينظر هو أيضاً ويقول: «الموت للـ..» فحينما يكون الجو بهذا الشكل يأتون إلى هنا وعندما يكون الجو بشكل آخر يذهبون إلى هناك.

انظروا أن مسلم بن عقيل حينما دخل الكوفة قال أهلها: أتى ابن عم الحسين عليه السلام أتى ابن آل هاشم انظروا هؤلاء يريدون

الثورة، يريدون الخروج فيتحركون ويذهب في زمرة مسلم ما يزيد على ثمانية عشر ألف لكن بعد خمس أو ست ساعات يأتي رؤساء القبائل إلى الكوفة فيقولون للناس: ماذا تعملون؟ تحاربون مَنْ؟ سينتقمون منكم! فيذهب هؤلاء إلى بيوتهم أولاً وبذلك يتفرق هذا العدد الهائل، وبعد ذلك عندما يحاصر جنود ابن زياد بيت طوعه لاعتقال مسلم بن عقيل، يأتي نفس هؤلاء الأفراد لحرب مسلم هذه المرة!

هؤلاء هم العوام، لم يكن موقفهم نابعاً عن تفكير أو عن تشخيص ولا عن تحليل سليم، يتحركون حسب الجو!

والخواص قسمان:

إذن في كل مجتمع يوجد لدينا «خواص» و«عوام» اتركوا العوام جانباً ولنأت إلى الخواص، وبطبيعة الحال إن الخواص جبهتان: خواص جبهة الحق وخواص جبهة الباطل، جماعة من أهل الفكر والثقافة والمعرفة يعملون لجبهة الحق وأدركوا أن الحق مع هذا الجانب، عرفوا الحق ولأجل الحق يتحركون ويعملون، وخلاصة القول أنهم يعرفون الحق، أهل تشخيص. هذه طائفة وطائفة مقابل الحق وضده.

لو عدنا مرة أخرى إلى صدر الإسلام نجد أن هناك عدة هم أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام وبني هاشم، وعدة أخرى هم أصحاب معاوية وكان بين هؤلاء خواص أيضاً، أناس ذو فكر وعقل ودهاء يتبعون بني أمية، فهؤلاء خواص، وأولئك لهم خواص أيضاً!

وعلى هذا فإن الخواص في المجتمع على نحوين: خواص أتباع الحق وخواص أتباع الباطل.

ماذا تنتظرون من خواص أتباع الباطل؟ تنتظرون أن يجلسوا لكي يخططوا ضد الحق وضدكم! فيجب عليكم قتالهم ويجب محاربة أتباع الباطل وهؤلاء ليسوا محل حديثنا الآن.

الخواص من أتباع الحق

ولنأت إلى الخواص من أتباع الحق ومن خلال الكلام انظروا أنتم في أي موقع تضعون أنفسكم؟ هذا هو لبّ عملية التفكير والتأمل يعني أن لا نأخذ التاريخ كقضية، التاريخ هو شرح لأحوالنا، ولكن في مسرح آخر، أنا وأنت يعني نحن جميعاً، يعني إننا عندما نقول تفاصيل التاريخ؛ فكل واحد منا يجب أن يرى أين موقعه في هذا المقطع من التاريخ لنرى الشخص الذي أخذ موقعاً في ذلك المقطع كيف عمل في ذلك اليوم فتلقى الضربة فلا نعمل هكذا. والقضية التي لا غبار عليها هي أن خواص مجتمعنا ـ بدون ترديد ـ هم من جماعة الحق، لأنهم يدعون إلى القرآن والسنة والعترة والى سبيل الله والقيم الإسلامية.

الخواص من جماعة الحق على صنفين: الأول هم الذين وفّقوا في قبال الدنيا ولذائذ العيش، المناصب، الثروات، الشهوات، الألقاب، والراحة، والصنف الآخر لم يوفقوا.

إذن فحساب الخواص أتباع الباطل على حدة، ولا شغل لنا بهم في الوقت الحاضر، بل نأتي إلى الخواص أتباع الحق، والمشكلة في القضية تبدأ من هنا فيما بعد.

هذه أشياء دنيوية جيدة، وهي الأمور الجميلة في الحياة... «متاع الحياة الدنيا»؛ والمتاع يعني المتعة، أنها مُتع هذه الحياة الدنيا، وان تعبير القرآن عنها «متاع الحياة الدنيا» ليس معناه أنها متاع غير جيد، لا، بل هي متاع جيد؛ خلقها الله لكم، ولكن فيما إذا لم تنجذبوا ـ لا سامح الله ـ إليها بدرجة من الشدة بحيث إذا ما أتى تكليف صعب في البين تستطيعون أن ترفعوا أيديكم بسهولة عنها[1]، فهذا يكون شيء آخر.

إذن: فنحن نقسم الخواص أتباع الحق مرة أخرى إلى قسمين، التفتوا، هذه الأمور تحتاج إلى تفكير، وتتطلب وقت مطالعة، ولا يمكن تأمين الإنسان والأسرة والمجتمع، هكذا، بل لابد من التحقيق والتدقيق والتأمل.

---

(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

فكل مجتمع يوجد فيه هذين القسمين من الناس؛ قسمي الخواص أتباع الحق.

فإذا كان ذلك القسم الجيد من الخواص أتباع الحق ـ يعني أولئك الذين يستطيعون أن يرفعوا أيديهم عن متاع الحياة الدنيا في الوقت اللازم ـ أكثر، فسوف لن يصاب المجتمع الإسلامي بما أصيب به في زمان الحسين عليه السلام أبداً...

اطمئنوا سيؤمن إلى البد، وأما إذا كان هؤلاء أقل وذلك الصنف الآخر من الخواص كان أكثر ـ يعني أولئك الذين تعلقوا بالدنيا ـ يعرفون الحق وأتباع الحق ولكن مع ذلك ترتجف أقدامهم أمام الدنيا!

فما هي الدنيا؟ الدنيا تعني الثروة، البيت، الشهوة، المنصب، المقام، المسؤولية وتعني النفس، فإذا كان هناك أناس يتركون سبيل الله لأجل أنفسهم؛ ففي الوقت الذي يجب أن يقول فيه كلمة الحق، لا يقولها ويتوقف ويسكت، لأن أرواحهم مهددة بالخطر أو لأجل مناصبهم أو شغلهم أو أموالهم أو لأجل حبهم لأولادهم وعوائلهم، أو لحبهم للأقربين والأصدقاء، وفي هذه اللحظة تخلوا عن سبيل الله؛ فإذا كان عددهم كبيراً فعند ذلك...

واويلاه! فعندها سيذهب الحسين ابن علي عليه السلام إلى مذبح كربلاء ويجلب إلى مقتله، ويأتي اليزيديون إلى السلطة، وسيحكم بني أمية ألف شهر على الدولة التي أوجدها النبي صلى الله عليه وآله ويبدلون الإمامة بالسلطنة.

عندما يتهافت الخواص

المجتمع الإسلامي، مجتمع الإمامة، يعني أن الإمام يكون على رأس المجتمع وهو إنسان صاحب قدرة ويتبعه الناس قلباً وإيماناً، وهو إمامهم ومقتداهم، ولكن الملك أو السلطان وهو ذلك الشخص الذي يحكم الناس بالقهر والغلبة وهم لا يحبوه ولا يقبلون به أو يرضونه.

إن بني أمية قد بدلوا الإمامة في الإسلام بالسلطنة والملوكية، وحكموا ألف شهر ؟ـ يعني تسعين عاماً ـ في تلك الدولة الإسلامية الكبرى.

ثم إن ذلك البناء الأعوج كان قد بني بشكل بحيث انقلب بعد ذلك على رأس بني أمية، فذهبوا وجاء بنو العباس وحكموا ستة قرون ـ يعني ستمائة عام ـ في دنيا الإسلام

بعنوان خلفاء للمسلمين والقائمين مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان خلفاء بني العباس ـ وبتعبير أدق ملوكهم ـ أهل شرب وخمر وفساد وفحشاء، وخبث وثراء وبذخ، وألف نوع من الفسق والفجور؛ كبقية سلاطين العالم، وكانوا يذهبون إلى المساجد ويأمّون الناس، ويأتمّ الناس بهم اضطراراً أو بسبب الاعتقاد الخاطئ فخربوا عقائد الناس.

إن الخواص أتباع الحق في مجتمع ما ـ بأكثريتهم القاطعة ـ عندما يكونون بمستوى بحيث تصبح دنياهم ذات أهمية لهم، فيكونوا حاضرين لقبول حاكمية الباطل لأجل الخوف على أنفسهم، أو الخوف على فقدان المال أو المنصب والمقام، والخوف من العزلة أو أن يكون منبوذاً، فلا يقفون مقابل الباطل ولا يناصرون الحق ولا يلقون بأنفسهم في الخطر ـ وعندما حدث هذا ـ قُتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام بتلك الحالة الفجيعة الأليمة وتكون النهاية بوصول بني أمية وآل مروان ثم بني العباس، سلسلة السلاطين إلى يومنا هذا.

انظرا اليوم إلى العالم الإسلامي بمختلف بلدانه ـ والى المكان الذي فيه بيت الله الحرام ومدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ

تأملوا جيداً وانظروا إلى الفسق والفحشاء والفجور التي تحكم السلطة هناك! وهذا شأن بقية البلدان؛ ولذا نحن نقرأ ونردد دائما في زيارة عاشوراء: «اللهم ألعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد»، في الدرجة الأولى نلعن الذين أسسوا بنيان الظلم، وهذا هو وجه الصواب والدقة.

خطى الانحراف

وتأسيساً على هذه المقدمة، فإننا قد أصبحنا قريبين على حادثة عاشوراء ذات الأبعاد الكبيرة في استلهام الدروس والعبر، والآن نذهب وراء التاريخ قليلاً لنرى إن مسألة الخواص قد تبلورت بعد ست سنوات أو سبع من رحلة رسول الله ﷺ، وليس لها أدنى علاقة بمسألة خلافة الرسول، فهذا الحديث غير متعلق فيما نريد تأكيده هنا، وما نريد قوله: هو الحديث بعد وفاة النبي بسبع سنوات، فمن المسائل المهمة في هذه الفترة هي أولاً: قولهم انه لا يجوز تساوي السابقين للإسلام والذين اشتركوا في الحرب من الصحابة وأتباع النبي مع عامة الناس؛ مما يستلزم حصول هؤلاء على مزايا عديدة من بيت المال.

هذه أول خطوة على طريق الانحراف وان تبدو أحياناً صغيرة لكنها باستمرار الخطوات أخذت تتعمق وتتسع حتى وصلت إلى ذروتها في عهد الخليفة الثالث، في خضم هذه الخلافة تراكمت رؤوس الأموال لدى أصحاب النبي المعروفين، أمثال: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأشباههم ممن له رصيد تاريخي ضخم في معارك بدر وحنين وأحد وحروب وغزوات متعاقبة، وقد عُدَّ هؤلاء من الطبقات الأولى من التجار الأوائل في صدر الإسلام؛ ولذا فإن أحدهم قد ترك لورثته من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس[1].

---

(١) ومن هؤلاء الزبير بن العوام خلف أربعة نساء وتسعة وخمسون مليون وثمانمائة ألف درهم أو دينار وله في مصر والبصرة والكوفة أملاك كثيرة وأراضي زراعية تأتيه بالغلاة، وقال المسعودي خلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة. انظر مروج الذهب: ج١ص٤٣٤.

ومنهم طلحة الذي قال عنه عمرو بن العاص أنه خلف مائة بهار (جلد ثور) في كل بهار ثلاثة قناطر من ذهب، غير الأموال والأملاك والضياع.

ومنهم عبد الرحمن بن عوف الذي خلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً وكان فيما خلفه من ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال. انظر تفاصيل أكثر في كتاب الغدير: ج٨، لترى تركة عظماء الإسلام.

إذن ما هو مقدار الذهب الذي لا يكسر إلا بمثل هـذه الآلـة في الوقت الذي يوزن الذهب بالمثاقيل؟!

هذا ما سجله التاريخ ولا تنفرد الشيعة لوحدها في نقل هـذه الأحاديث، كلا فإن هذه الوقائع ذكرها الجميع.

علي عليه السلام في مواجهة الانحراف

أما في زمن أمير المـؤمنين عليه السلام فقـد تغيّـرت المقـاييس[1]، وواجه أصحاب الامتيازات، بعد (٢٥) عاماً من رحلة الرسـول صلى الله عليه وآله وهم مثقلون بتراكمات الفتـرة الماضـية وترسـباتها التـي سبقت خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وإلا فـإن عليـاً عليه السلام لـم يواجه أية صعوبة فـي بنـاء المجتمـع لـو لا تلـك التراكمـات المتأصلة في نفوس هؤلاء خلال الـ(٢٥) عاماً، ولكن مـا الـذي

---

(١) حاول أمير المؤمنين عليه السلام إعادة الأمور إلى مـا كانـت عليـه فـي عهـد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد خطى خطوات واسعة في هذا الطريق منها إصلاح الوضع المالي والاقتصادي والاجتماعي، وحاول رد الأموال المنهوبة مـن بيـت المـال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملـك بـه الإمـاء لرددته؛ فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق».

يفعله الإمام مع أمثال هكذا رجال «يأخذون مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً بينهم»[١].

ذلك المجتمع كان في غاية التعقيد والصعوبة ويضع أمام حركة الإمام عليه السلام المعوقات والمشاكل لتشغله في الداخل، أكثر خواص أمير المؤمنين عليه السلام هم مع الحق وقد عرفوا الحق، ورجحوا الدنيا على الآخرة! وفي النتيجة آلت الأمور إلى هذا المآل المفجع، ففي ظل أربع سنوات وتسعة أشهر من حكومته دخل الإمام علي عليه السلام في ثلاث حروب واستشهد على يد رجل في منتهى الخبث والشقاء من هؤلاء وقد قتله وهو في المسجد[٢].

دماء الإمام الحسين عليه السلام تقاس بمقدار دماء أبيه أمير

---

(١) لقد واجه علياً المنحرفون وأصحاب رؤوس الأموال والطامعون بالسلطة والحكومة وشنوا عليه حروباً ثلاث كبرى في صفين والنهروان والجمل بنتائجها المعروفة.

(٢) هو الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم وهو ممن خرج على أمير المؤمنين بعد التحكيم يوم صفين وقالوا: لا حكم إلا لله وكفّروا علياً، طمعاً بالسلطان.

المؤمنين عليه السلام، ولذا نقرأ في زيارة وارث: «السلام عليك يا ثار الله وبن ثأره» بمعنى أن الله هو صاحب دم الحسين وصاحب دم أبي الحسين، وهذا التعبير لم يذكر بحق شخص آخر غير الحسين عليه السلام، ومن الطبيعي أن لكل دم صاحب ثار مثل الأب أو الابن ولكن صاحب دم هذين الإمامين هو الله عز وجل!

خذلان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

بهذه الحالة استشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وجاء بعده ولده الإمام الحسن عليه السلام فتركه القوم وحده، وقد أيقن الإمام الحسن بأنه إذا ذهب بهذا العدد القليل لمحاربة معاوية واستشهد فإنه لا أحد سيطالب بدمه؛ بسبب الانحطاط الأخلاقي الذي وصل إليه المجتمع، ووقوع الخواص تحت تأثير الإعلام الأموي وتضليله، وهدايا معاوية ودهائه[1]. هذه العوامل وغيرها

---

(١) إن أولى حيل معاوية ودهائه حمله المصاحف على رؤوس الرماح وزرع الفتنة بين صفوف جيش الإمام علي عليه السلام في صفين، تبعتها حيلته الثانية في التحكيم حين اختار عمر بن العاص وتحايله على الأشعري، وان هدايا معاوية ملأت الآفاق فقد أهدى لعائشة طوق قيمته مائة ألف فقبلته، وأهدى

كانت في حسابات الإمام الحسن عليه السلام وأدرك أيضاً بأن الأمة سوف توجه إليه بعد سنتين أو ثلاث الاتهامات والملامة عندما يواجه معاوية بهذا العدد القليل، وقد قدّر الإمام الحسن عليه السلام خطورة الموقف، وسلامة الخطوة التي أتخذها بعدم اقتحام ميدان المواجهة وذهاب دمه هدراً.

الخواص يخذلون حسيناً

وأما في زمن يزيد فالمسألة تختلف عن عصر الإمام الحسن عليه السلام وظروفه، فلم يكن للإمام الحسين عليه السلام خيار آخر غير الثورة والمواجهة، ففي عصر الإمام الحسن عليه السلام لا يوجد سوى خيارين وطريقين: فإما الشهادة، وإما البقاء وآثاره ومعطياته بحسب الظروف في تلك الفترة أكثر بالتأكيد من خيار الشهادة، ولذا فإن الإمام الحسن عليه السلام اختار أصعب الخيارات، ولكن عصر الإمام الحسين عليه السلام لم يكن كعصر أخيه الإمام

إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم، وأهدى إلى عبد الرحمن بن أبي بكر مثلها، وأهدى لأبي هريرة من الأموال والقطائع، والى أناس آخرين كما انه أغرى أمير جيش الإمام الحسن بالأموال فهرب إليه.

الحسن فلم يتوفر أمامه خيار غير خيار المواجهة والثورة، فإن بقاءه حي يعني انه يبقى مسلوب الإرادة في مواجهة الظالم، مما يقتضي الواقع النهوض وعدم الاكتراث بالنتائج سواء وصل إلى الحكم أم لا! ويلزم الأمر أن يتحرك ضد الطاغية، وهذا ما نفذه الإمام الحسين عليه السلام وأثرّ تأثيراً بالغاً في المجتمع الإسلامي، ولكن أولئك الخواص لم يؤيدوا الإمام الحسين عليه السلام في حركته ولم ينصروه فانظروا ماذا حل بهم من تدهور وسقوط؟

خواص الحق مع الحسين عليه السلام

على انه في جانب آخر هناك خواص رجحوا مستقبل دينهم على دنياهم، وبوقفة هؤلاء حقق الإمام الحسين عليه السلام ملحمة تاريخية خالدة ليس لها نظير في تاريخ الإنسانية.

وعلى سبيل المثال، ومن أجل أن تتضح المفارقة الصارخة بين المواقف الشجاعة وغيرها من المواقف المترددة، ففي الليلة التي سبقت خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، كان هناك موقف لابن الزبير الذي يشترك مع الحسين عليه السلام في طبيعة التحرك ضد الخليفة الأموي ولكنه مع الفارق الكبير، فأين

موقف الإمام وشجاعته من هذا الآخر؟ فالإمام الحسين عليه السلام يُلقّن حاكم المدينة (الوليد) درساً بليغاً ويسلب قدرته على مجاراته ومواجهته، وذلك حينما نطق مروان بن الحكم بكلمة في مجلس الوليد، فأمسك الإمام بتلابيبه وجذبه وأعاده إلى مكانه ذليلاً خاسئا.

أما موقف ابن الزبير فكان يختلف تماماً عن ذلك الموقف الشجاع فهؤلاء أنفسهم قد ذهبوا إلى بيته وحاصروه لأخذ البيعة منه تحت ضغط أساليب التهديد والتخويف، مما أخذ يلتمس إليهم الأعذار ويتوسل بإمهاله ليوم غد لكي يرسل أخاه معهم إلى دار الخلافة في نفس الليلة! فلم يتركوه إلا بعد أن استجاب أحدهم بإمهاله ليوم غد. كان هذا موقف ابن الزبير رغم انه يمثل شخصية كبيرة في المجتمع لكنه كان يفتقر إلى الشجاعة والإقدام اللتين تميّز بهما الإمام الحسين عليه السلام وهذا ما جعل الأمة تناشده: «جعلنا فداك يا ابن رسول الله» خلال مسيره إلى مكة. وقد جاءه عبد الله بن مطيع قائلاً له: «يا ابن رسول الله! إن قتلت لنسترقنّ بعدك» بمعنى أن الرجال الذين يتولون السلطة سوف يستعبدوننا من بعدك، وبوجودك يا ابن رسول الله لم ولن نستعبد أبداً.

تساقط الخواص

جميع الخواص من أهل الحق لا يقفون مع عصابة بني أمية ولا إلى جانب الباطل ومنهم شيعة كثيرون يعتقدون بعلي عليه السلام وبأحقيته في الخلافة ويرونه الخليفة الأول، ولكن بمجرد ما واجهوا خطراً على أرواحهم ومواقعهم وأموالهم من السلطات الحاكمة فسرعان ما تساقطوا، والعوام من الناس تتجه خلف هؤلاء.

إذا تتأملون في الأسماء التي دعت الإمام من أهل الكوفة فتستجدونها كلها من جملة الخواص ومن ضمن الشخصيات الكبيرة في المجتمع وأشرفها، والرسائل التي بعثوها للإمام الحسين عليه السلام قد بلغت أعداداً هائلة حملت أسماءهم وعناوينهم وهم من الخواص[1].

---

(١) كتب الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة: «أما بعد، فإن هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكان آخر من قدم عليّ من رسلكم...»، ليست كتب فقط وإنما رسل أيضاً، واحتج الإمام بها أمام الحر الرياحي وعمر بن سعد عندما سألاه عن سر مجيئة إلى العراق، وكان أشهر من كتب إلى الإمام سليمان بن

وإذا ما عدنا لقراءة محتويات رسائلهم ومواقفهم من الإمام الحسين عليه السلام، فمن هو يا ترى الذي ضحى بدنياه من أجل آخرته بحيث تنتهي الرسائل إلى استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام الذي استقبله (٢٠ ـ ٣٠) ألف نفر ممن أعرب عن استعداده للقتال معه ضد حكومة يزيد، ثم يتجهون بعد ذلك إلى كربلاء لمحاربة الإمام الحسين؟ فإن تحرك الخواص يتبعه حركة العوام بالتأكيد، وكم هي عظمة مواقف الرجال العظماء وأصحاب الوعي والبصيرة الذين يمتحنون دوماً بهذه المحن!

صرد، المسيب بن نجبة، رفاعة بن شداد استشهدوا في حركة التوابين، وحبيب بن مظاهر استشهد مع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وحمل قيس بن مسهر وعبد الرحمن الأرجبي وعمارة بن عبد السلوكي إلى الحسين أكثر من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأكثر، ثم سرحوا إلى إليه هاني بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي فكتبوا إليه. حي هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل ثم العجل العجل والسلام.

وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس وعمر بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو التميمي: أما بعد، فقد اخضر الجناب وأينعت الأثمار فإذا شئت على جند لك مجندة والسلام... حيث أجابهم الإمام بما قدمناه في الحاشية هذه.

أهل الكوفة في المخاض

لعلكم سمعتم بما جرى في الكوفة، إذ كتب أهلها رسائل للإمام الحسين عليه السلام: أن أقدم علينا، فإننا لك جند مجندة! وبدوره أرسل إليهم مسلم بن عقيل ليستطلع حقيقة الأمر من أجل القدوم عليهم بنفسه، وكان الاستقبال الرائع لكبار أهل الكوفة والحفاوة العظيمة لمسلم الذي كتب للحسين بأن مجاميع كبيرة من أهل الكوفة قد انضمت إلينا، وحاكم الكوفة رجل ضعيف وهو النعمان بن البشير الذي أعلن صراحة انه لا يحارب مسلم بن عقيل، وقد انتهز المجتمع هذه الأجواء ليلتحق بجيش مسلم، لكن ثلاثة أشخاص من الخواص (أتباع الباطل) اقترحوا على يزيد بإرسال رجل مقتدر بدلاً من النعمان: لأنه غير قادر على مواجهة مسلم بن عقيل[1].

---

(١) هؤلاء الثلاثة هم: عبد الله بن مسلم، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص فقد كتب هؤلاء الثلاثة إلى يزيد بن معاوية عند قدوم مسلم إلى الكوفة ما يلي: أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة فبايعه شيعة الحسين بن علي فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك... الخ، فدعا يزيد سرجون مولى معاوية واستشاره فأشار عليه بعبيد الله بن زياد...

وهكذا أرسل حاكم البصرة عبيد الله بن زياد ليكون حاكماً على أمارة الكوفة، وجاء هذا اللعين إلى الكوفة باقتراح جماعة من الخواص (أصحاب الباطل)، فدخل الكوفة ليلاً، والعوام من أهل الكوفة الذين لا يمتلكون قدرة على التحليل ولا عمقاً في الرؤية، قد مرر ابن زياد حيلته عليهم عندما شاهدوه مغطّى الوجه وراكباً جواده، واستقبلوه وهم يقولون له: «السلام عليك يا ابن رسول الله »! فهذه خاصية العوام هي عدم الانتظار والتحقق أو التريث والتعمق بهذا الرجل الذي لم يرد عليهم بكلمة واحدة، حتى إذا صاح احدهم بأن هذا القادم هو الإمام الحسين عليه السلام تعالت أصواتهم: جاء الحسين جاء الحسين وأدوّا التحية والاحترام!

فما لهم لم يصبروا قليلاً حتى يتعرفوا على هوية هذا الشخص! وابن زياد غير مكترث بهؤلاء، فتوجه فوراً إلى دار الإمارة وأعلن من هناك مواجهة مسلم، بعد أن عرّف بنفسه وهدد جميع المؤيدين لمسلم بالويل والقتل، ثم استدرج هاني بن عروة إلى دار الإمارة بحيلة غادرة، وأدمى رأسه ووجهه فتفرقت الجموع الغفيرة التي أحاطت بالقصر نتيجة وعود كاذبة

وأمنيات زائفة.

وهكذا هو التاريخ، والآن لنكشف موضعنا في هذا المثال: جماعة من العوام ليس لها تصميم أو إرادة بل هم والحظ، فإن وجدوا فرصة في زمان كان فيه على رأس الأمور شخص مثل الإمام أمير المؤمنين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]، **ويأخذون بهؤلاء إلى الجنة والخلود فهذا أمر جيد، وأما إذا ما اتفق ووجدوا في زمان أئمة الجور،** ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[2]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[3]. **فإذا وجدوا في هكذا مكان فسيذهبون بهم إلى جهنم.**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨، ٢٩.

كونوا من الخواص

إذن فيجب أن نحذر من أن نكون من العوام، ولا أقول: لا نكون من العوام؛ يعني ذلك أن نذهب لتحصيل العلوم العالية، كلا فليس هذا مفهوم العوام، بل كثيراً ما كان أشخاص نالوا شهادات عالية وهم من العوام أيضاً، وكذلك كثيرا ممن نالوا علوم دينية هم من العوام أيضاً، كما أن هناك أشخاص فقراء أو أغنياء هم من العوام أيضاً، ولكن الكون في العوام بأيدينا، فلنحذر أن نكون من العوام، يعني أن نقوم بأي عمل من غير بصيرة وأي شخص لا يعمل ببصيرة فهو من العوام، ولذا يخاطب القرآن النبي الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، فانظر أولاً: هل أنت من قسم العوام أم لا؟ فإذا كنت منهم فاخرج بسرعة من هذه المجموعة واسع إلى الحصول على القدرة في التحليل والتشخيص والمعرفة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وفي طائفة الخواص ننظر: هل نحن من الخواص أتباع الحق، أو الخواص أتباع الباطل؟

الخواص الذين وصفناهم بأنهم مناصرون للحق كان لهم دور سلبي في هذه الفاجعة لأنهم رجحوا دنياهم على دينهم، وبعد هذا كله تحرك مسلم بن عقيل عليه السلام مع مجموعات قدرت بأربعة آلاف شخص من تلك الأمة التي يذكر ابن الأثير بأنها كانت تقدر بثلاثين ألف نفر، لكن دهاء ابن زياد ومكره حرك نفس أولئك الخواص في وسط الناس لإيقاظ الشائعات وإثارة الأراجيف لتخويفهم وتثبيطهم فأسرع الآباء والأمهات لإقناع أبناءهم بضرورة التراجع عن مسلم وخذلانه قائلين لهم: لماذا تحاربون ابن زياد، ألا تعلمون أنهم سوف يفقأون عيونكم؟ ألا تعرفون بني أمية وهم يمتلكون المال والقوة والسيف؟!

وقد أثرت هذه الأساليب غاية التأثر في وسط العوام حتى إذا حل المساء انفضوا عن مسلم بن عقيل وتركوه وحيداً، ثم أعطى ابن زياد الأوامر بحضور الناس لصلاة العشاء في مسجد الكوفة لكي يؤمهم، ويذكر التاريخ إن المصلين كانوا خلف ابن زياد فوق حد التصور والوصف!

مأساة مسلم وموقف شريح القاضي

والتساؤل الذي ينبغي طرحه هو: لماذا آلت الأمور إلى هـذا الحد؟ والجواب هو هذا لأن الخواص هم المقـصرون والـذين كانوا يعّتبرون أنفسهم مناصـرين للحـق ومـدافعين عنـه! وقـد مارس جملة من الخواص أسـاليب خاطئـة مـن أمثـال شـريح القاضي الذي لم يكن محسوباً على بني أميـة وكـان يعـد مـن الأشخاص الذين يدركون الحق ويعرفون أهله، وله سـابقة فـي مسيرة الأحداث! فعندما زج بـ «هاني بـن عـروة» فـي الـسجن وأدموا رأسه ووجهه أسـرع أفـراد قبيلتـه وجنودهـا وأحـاطوا بالقصر مما أثار الرعب في نفس الطاغية ابن زياد، وفي محاولة لاحتواء الأزمة كلف ابن زياد شريحاً القاضي بمكالمة الجمـوع الثائرة والإعلان لهم بأن هاني بن عروة لا يزال حيـاً ولـم يُقتـل ولكنه جريح، وطلب منه أن يراه هو نفسه فدخل شريح القاضي على ابن عروة ووجده حياً واستفسر هـاني منـه مـستغرباً: أيـن عشريتي وما أصابها؟ هل فنيت عشيرتي؟ لماذا لا ينقذوني مـن السجن؟!

فقال شريح: كنت أود أن أنقل كلمات هاني إلى القوم الذين داهموا القصر، لكن كثرة جواسيس عبيد الله بن زياد المتواجدين في القصر حال دون ذلك!! لأنه يؤثر دنياه على آخرته، ولو نقل شريح كلمات هاني لقومه كما هي لغيّر حركة التاريخ، لو استطاع شريح أن يخاطب هؤلاء بان هاني بن عروة في السجن وابن زياد ينوي قتله لكانت النتيجة على عكس ما حدث، ولفقد ابن زياد السلطة وهرب بنفسه وبذلك يتمكن هاني بن عروة من النجاة ولأصبحت نهاية ابن زياد حتمية ولأضحت الكوفة كلها للإمام الحسين، لو فعل ذلك لما وقعت فاجعة كربلاء، مما يعنى أن حكومة الإمام الحسين سوف تستقر وقد تستمر لتنعم البشرية بثمراتها.

قد تنطلق حركة في زمن بشكلها المتكامل وتغير مسار التاريخ، وربما تأتي حركة في غير محلها لأنها ناشئة من الخوف والضعف وحب الدنيا والحرص على الحياة، حركة واحدة خاطئة تجني على التاريخ ومساراته... يا شريح القاضي لماذا لم تشهد بالحق حينما رأيت هاني بهذه الحالة؟!

الخواص وحركة التاريخ

هكذا يؤثر الخواص سلباً في حركة التاريخ إذا ما طلبوا العافية لدنياهم على دينهم، وهكذا يحسم ابن زياد الموقف الصعب لصالحة بعد أن أمر رؤساء العشائر بتفريق الناس عن مسلم، وهددهم بشتى التهديدات فاستجاب هؤلاء لابن زياد على الرغم من أنهم لم يكونوا من أهل الشام ولم يأتوا من هناك بل أن الكثير منهم كان قد كاتب الإمام الحسين للقدوم إلى الكوفة، أمثال شبث بن ربعي الذي يعد من جملة الذين وظفهم لتثبيطهم عن نصرة مسلم واستخدام أساليب الترهيب والترغيب معهم.

لماذا فعل هذا الأمر الخطير؟ لو أن رجلاً من أمثال شبث بن ربعي اتخذ قراراً في لحظة حاسمة من التاريخ وجعل مخافة الله سبحانه وتعالى بدلاً من خشية ابن زياد لكان التاريخ شيئا آخر، ولئن استطاعوا تفريق عامة الناس عن مسلم بن عقيل بأساليبهم المعروفة فإن السؤال الذي لا يزال يطرح نفسه هو: لماذا تفرق الخواص من المؤمنين على مسلم وتركوه وحيداً

بعد أن تسابقوا على استقباله، ولم يفارقوه في بداية مجيئه إلى الكوفة؟ وقد كان بينهم أشخاص جيدون يضعون الأمور في مكانها الحقيقي ويدركون تعقيداتها حيث أن بعضهم قد جاء إلى كربلاء واستشهد مع الإمام الحسين، ولكنهم قد ارتكبوا خطأ مع مسلم وجاءت شهادتهم مع الحسين تعبيراً عن خطأهم وكفارة لذلك.

الموقف الحاسم في اللحظ الحاسمة

وليس مهماً أن نبحث حول هوية هؤلاء أو نستعرض أسمائهم، ولكن من الخواص من لم يفكر بالذهاب إلى كربلاء ولم يستطيع القدوم لها ولم يوفق لذلك! لكنهم في الختام اضطروا إلى أن يكونوا من جملة التوابين. عندما استشهد الإمام الحسين وحلّت الفاجعة وانحرفت مسيرة التاريخ فما هي ثمرة التحرك بعد ذلك؟ لقد قتل من التوابين أضعاف ما قتل في كربلاء، لم تستمر فاجعة كربلاء إلا يوماً واحداً، وكذلك التوابون قد قتلوا في يوم واحد.

ولكن لنتدبر بدقة أثر كربلاء في التاريخ، حيث لم يترك

التوابون واحداً من الألف من أثر شهداء كربلاء! ذلك لأنهم لم يحضروا في الوقت المناسب ليقطفوا ثمار المواقف في أوانها.

لقد جاء قرارهم متأخراً وكذلك تشخيصهم للموقف بعد فوات الأوان، فلماذا تركتم مسلماً لوحده وهو سفير الإمام الحسين عليه السلام وممثله، وكنتم بالأمس قد بايعتموه وهو قَبِلَ ببيعتكم.

عتب حزين وأسف عميق

ليس لنا حديث مع العوام، وإنما حديثنا مع الخواص، فلو أن الخواص لم يتركوا مسلماً لوحده وشكلوا منهم مائة نفر مثلاً وأمسك هؤلاء المائة بأطراف مسلم واجتمعوا في بيت أحدهم ووقفوا للدفاع عنه، فحينما أرادوا القبض عليه استمرت هذه العملية عدة من الساعات، فبرغم من حملاتهم المتعددة استطاع مسلم لوحده التصدي لجيش ابن زياد، فلو كان معه مائة نفر هل يستطيعون القبض عليه؟ حتى الناس سوف تعود ثانية للالتفاف حوله، ولكن الخواص قد تخاذلوا ولم يحيطوا بمسلم للدفاع عنه.

فلو ألقينا نظرة متأنية على هذا الواقع المؤلم لعرفنا أهمية الخواص وضرورة اتخاذ قرارهم في الوقت المناسب وتحمّلهم مسؤولية التشخيص الصائب ونبذ الدنيا في سبيل الله لأنهم سوف يحسمون الموقف في أصعب لحظات التاريخ ويحفظون قيم الإسلام وتراثه العظيم. فإذا فات الوقت المناسب فلا فائدة ترجى بعده!

فشل تجربة الجزائر المسلمة

في الجزائر عندما فازت الجبهة الإسلامية في الانتخابات تحرك العسكر المدعوم من أمريكا والغرب لتقويض هذه التجربة الانتخابية وإبعاد الإسلاميين من الحكم، فلو أن الجبهة الإسلامية تصدت للأمر منذ البداية حيث لم تكن بوقتها سلطة حاكمة، فلو أن الإسلاميين قد دعوا الجماهير إلى الخروج للشوارع في الساعات الأولى لما كانت الآن حكومة عسكرية تستطيع أن تفعل شيئاً.

لو شكلوا حكومتهم الإسلامية في ذلك الوقت واتخذوا القرار الحاسم لسيطروا على مقاليد الحكم ولأصبحت لهم

حكومة إسلامية ولكنهم لم يصمموا على فعل شيء يغيّر مجرى الأحداث في الجزائر، فمنهم من التـزم الـصمت خـشية انتقـام العسكر وآخرون قد دب الضعف والهوان في نفوسهم، وغيرهم اختلف في تعيين المسؤول وهكذا فشلوا!

القرار الحاسم للإمام الخميني وتنفيذ الخواص

في عصر يوم الحادي والعشرين من بهمن عام ١٣٥٧ هجري شمسي أعلنت حكومة عسكرية فـي طهـران وقـد أمـر الإمـام الخميني قدس سره الشعب بالنزول إلى الشوارع لتفويت الفرصة على العسكر. فلو أن الإمام تأخر في تلك اللحظة الحاسمة عن قراره الشجاع لبقي إلى هذا اليوم محمد رضا بهلوي يتـصدى لزمـام الأمور في إيران وسوف يعود عن طريق حكومة عسكرية والتي تبدأ بقتل الإمام وحصد البقية من أنصاره ومريديه وينتهـي كـل شيء! يقتلـون خمـسمائة ألـف فـي طهـران وتحـسم الأمـور لصالحهم، كما فعل العسكر في إندونيسيا عندما قتلوا مليون نفر وسيطروا على الحكم، غير أن الإمـام الخمينـي رحمه الله قـد اتخـذ قراره الحاسم في اللحظة المناسبة.

عوداً على بدء، فلو أن الخواص تحركوا في اللحظة الحاسمة، وفعلوا ما تقتضيه تلك اللحظة لكان غير هذا، ولم يقتل الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، وأما إذا فهم الخواص الأمر بشكل غير جيد أو وعوه بوقت متأخر أو هم يدركون الأمر جيداً ولكنهم مختلفون فيما بينهم ولو كان على رأسهم أفراد يقدرون الموقف لجرت الأمور بما يصحح التاريخ ولكن طبقة الخواص المتوزعة في عموم المجتمع لم تعط الجواب المناسب، فأحدهم: يقول اليوم لدينا عمل، وآخر يقول: الحرب انتهت دعونا نذهب وراء عملنا! لنكتسب منه، فلو كان العمل بهذا الشكل فمن الطبيعي أن حوادث كربلاء سوف تتكرر في التاريخ.

النصر الإلهي للخواص المخلصين

إن الله جلّت قدرته وعد عباده بالنصر بشرط أن ينصروه فلو أن شخصاً تحرك في طريق الله وأجهد نفسه في طريق إعلاء كلمة الله فإن النصر سوف يكون نصيبه، ليس بقدر كل نفر يأتي النصر بل عندما تتحرك مجموعة فمن الطبيعي أن تجد

المصاعب في طريقها وقد نقدم الشهداء ونقاسي العذاب والمعاناة ولكن النصر يتحقق. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[١]، **لم يعدنا القرآن بالنصر في وقت لم يجر الدم من رأس أحدنا! لا** ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[٢]، **حتى يتحقق النصر بأيدينا، وهذه سنة إلهية، ولكن عندما لا نجود بالدماء لخشيتنا على الجاه والمال والعائلة والصديق وخوفنا من ذهاب الراحة والدعة والاستقرار وخسران المكاسب الدنيوية والدار وما إلى ذلك؛ فحينئذ لو أن عشرة من أمثال الإمام الحسين يأتون فإنهم سوف يستشهدون جميعاً وكما حصل للإمام علي عليه السلام ولولده الإمام الحسين عليه السلام.**

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

تشخيص الهوية

فلننظر إلى أنفسنا ونتأمل فيها جيداً هل نحن جزء من الخواص؟ وعلينا أن ننتبه جيداً إلى هذه المعاني التي طرحت بخصوص هذا المطلب الذي ينقسم إلى قسمين: أحدهما تاريخي حيث أن للخواص نماذج متناثرة في التاريخ.

والقسم الآخر: هو الجانب التطبيقي مع العصر وليس بخصوص زماننا والسؤال الذي يجدر طرحه هنا هو: كيف يستطيع الخواص العمل وفق وظيفتهم حتى لا نكون أسرى لدنيانا؟ وبكلمة أخرى: كيف لا نكون أسرى لهذه الدنيا؟

فما هي مفردات ذلك وما هي مصاديقه؟

إن الحركة باتجاه الله لها معارضون دائما فإذا انبرى أحد من الخواص لأداء وظيفته الشرعية في محاربة الطاغوت فمن الممكن أن يبادر جملة من الخواص أنفسهم إلى تثبيطه بالتقولات البائسة، وربما يواجه سيلاً من التساؤلات المحبطة من قبيل: لماذا تلقي بنفسك في التهلكة؟ هل أنت مجنون؟ ألم

تبال بطفلك وأهلك؟ وهذا ما سمعناه مراراً وتكراراً!.

لذا فإن على الخواص أن يصمدوا أمام التهم والأراجيف: لأن من أهم مزايا الخواص هي ترويض أنفسهم على مواجهة مثل هذه الحالات، ومن الواضح جداً أن المثبطين يعمدون دائما على تخطئة المواقف الشجاعة واتهام أصحابها بالسوء والتقصير[1].

(١) كانت هذه مقتطفات من توجيهات مطولة لآية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله.

الفصل الثاني

استخلاص العبر من تاريخ عاشوراء

وتدارك أخطاء الماضي

استخلاص العِبرة من التاريخ

إن الحدث الهائل والبليغ ما حدث لمسلم بن عقيل عليه السلام سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، ليس كونه مسلم بن عقيل السفير الحسيني فقط وإنما يحصل أن يبايعه بين (٢٠ ـ ٣٠) ألف مقاتل متحمس مناهض لبني أمية كتبوا بأجمعهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام، يحملون سلاحهم على عواتقهم يتوشحهم الغضب والكراهية لحكام الجور وينتظرون القائد المنقذ، يحملهم برايات الفروسية باتجاه الخلاص والحرية، وكذلك لأن هذا الحدث كان مقدمة لمأساة الطف ومقتل سيد الشهداء عليه السلام، كيف لهؤلاء أن يحل بهم غروب ذلك اليوم لتنفض جموعهم ويُفك حديدهم ويهرعون باتجاه آخر تاركين مسلم لوحده بلا دليل يرشده إلى منافذ الكوفة ليرجع إلى مأمن من الأرض؟ كيف يحصل هذا الحدث، لماذا؟ لم يحصل في تاريخ البشرية أن حدث هذا الأمر مطلقاً، يا لها من عويصة ملمة وقاصمة مُحيّرة، والأدهى منها أن يعود هؤلاء محاربين

لمسلم يتربصونه في طرقات الكوفة وبيوتها لإلقاء القبض عليه وقتله ثم يقتلونه بهذه الصورة الفجيعة. والأنكى والأخس أن تحلَّ على أيديهم فاجعة كربلاء الأليمة.

إن حادثة كهذه لا يمكن لنا أن نسبر غور الحدث فيها بعد ما يقارب من ألف وأربعمائة عام من تاريخ حدوثه وما أحاطها من غموض في حركة المجتمع الكوفي آنذاك الذي كان تتحكم في حركته تجاذبات مختلفة وربما متناحرة كيف صار لها أن تكون في هذا الحدث منجذبة باتجاه واحد أخل بكل التجاذبات الأخرى، ولم يطفح منها على السطح فقاعة أو زبد؟ مَنْ الذي أحدث هذا الخلل في ميزان القوى الكوفية لصالح عبيد الله بن زياد الذي كان حاكماً على البصرة إلى ما قبل الحدث بساعات قليلة فقط، اختزل فيها حركة جماهيرية عارمة أدارها إلى الوراء فوراً وحدد هدفاً واضحاً هي قيادتها الحالية المتمثلة بمسلم بن عقيل.

مسلم في الكوفة

لقد أدى الكوفيون صلاة الظهر والعصر في المسجد الجامع خلف السفير الحسيني مسلم بن عقيل، والهتافات تملأ أركان الكوفة وتدوي في أزقتها ممزوجة بصهيل الخيل وصيحات الفرسان الغاضبين على بني أمية، وقعقعة السلاح وزغاريد النسوة الكوفيات، وتقول الأخبار أن الكوفة لم تشهد في تاريخها حشداً كهذا أو صلاة كهذه الأمة التي أدوها خلف مسلم بن عقيل، ولم تشهد حماساً وفروسية لرجالها وخيلها من قبل في مثل ما حدث بعد مجيء مسلم ومبايعته من قبل سكان الكوفة، يبايعونه قائداً لهم حتى مجيء الإمام الحسين عليه السلام، ولكن زلزالاً دراماتيكياً أحدثه دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وتقول الأخبار انه ما أن دخل الكوفة وشاهد صورتها الحقيقية بنفسه، حيث استقبله الناس على أساس انه الإمام الحسين عليه السلام وأدوا له التحية والسلام ذهب فوراً إلى دار الإمارة فالتف حوله جملة من رؤوس الباطل كان أبرزهم شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وعروة بن قيس بن

الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو وعمر بن سعد بن أبي وقاص وآخرون، وفور لقائه بهم رفع شعار من لم يكن معنا فهو ضدنا وسوف نُسمل أعينهم ونصلبهم على جذوع نخيل الكوفة ورؤوس الأزقة، واستطاع أن يجنّد في تلك اللحظات مئات المندسين الذين تحركوا بين أوساط الجيش الذي التفَّ حول مسلم، وأخذوا ببث الإشاعات والأقاويل المغرضة وإيصال تهديدات عبيد الله بن زياد، وكما انه اجتمع فور وصوله برؤساء العشائر وأمراء البيوتات والوجهاء الكوفيين وكان يرفع خلفه شعار كتب عليه (نحن أقوياء ولسنا مغرورين)، وسرّحهم مهدداً ومتوعداً ومتزلفاً بالاموال والرئاسات وطلب منهم فواراً إعادة أبناء العشائر ممن التحق بمسلم، وفعلاً ما أن حصل التماس بين هاتين الفئتين مع الجماهير الملتفة حوله وإذا بالزلزال يهز أعماق الجيش فيذوب في لحظات ولم يبق منهم أحداً أبداً، لقد أُصيب مسلم بالذهول أمام مجرى الأحداث فأين هؤلاء؟ أين ذهبوا؟ كيف ذابوا بهذه السرعة؟ أين ملاقاة الموت والحتوف؟ أين الجند المجندة؟ أين أخضّرَ الجناب وأينعت الأثمار؟، لقد تسلل الجميع إلى بيوتهم واختلسوا أنفسهم من الصلاة خلف

مسلم، لكن هل أن أهل الكوفة كلهم من العوام ينعقون وراء كل ناعق حقاً كان أم باطلاً؟ أليس في أهل الكوفة من خواص الشيعة؟ ألم تكن الكوفة عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته؟ ألم يلتف الجيش الكوفي حول مسلم لأنه رسول الحسين وسفيره إليهم، وهم أعرف الناس ببني هاشم وعترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله؟ إذن ماذا حدث ليذوب ثلاثون ألفاً أعلنوا ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام في لحظات ليبقى مسلم لا يعرف أين يذهب ومن أي طريق ينسحب إلى مأمن من الأرض، حتى دليل واحد يؤشر له الطريق ولو من بُعد؟!

البطل الوحيد

لقد كان البطل الوحيد من أهل الكوفة يوم ذاك هي المرأة الكريمة (طوعة) التي فتحت باب بيتها لمسلم بن عقيل، لقد فتحت بابها للتاريخ والخلود وأغلقت باباً آخر للعار الأبدي لجيش تعداده (٣٠) ألف مقاتل ذاب في لحظات ثم ظهر فجأة خلف فاتح جديد اسمه عبيد الله بن زياد بن مرجانة ويعرف الكوفيون من هي مرجانة ومَن هو زياد بن أبيه فلا حاجة

للتعريف بمرجانة ولا حاجة للتعريف بابن أبيه فكلاهما من خنا الجاهلية وأرجاسها.

ثم يتعقب هذا الجيش مسلماً ويبحث عنه بجد في مسالك الكوفة وطرقها وأزقتها وداخل البيوت ليعثروا على مسلم ويقتلوه ويفوز بجائزة الأمير عبيد الله بن زياد.

لقد أمضى الكثير عمراً مديداً حاول الوصول إلى بعض الحقائق لتفسير ما حدث إلا أنها لم تكن رشفة الصادي للقلوب الحرى التي تريد معرفة سر الحقيقة، كيف حدث هذا؟

الإمساك بخيوط الحقيقة

ولعل الذي كشف الستار عن مجريات الحدث الهائل وما تلاه من خروج هذا الجيش لقتال الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله لمسلم بن عقيل عليه السلام هو فهم طريقة تحرك الخواص والعوام الذي أتقن اللعبة فيها طاغية عصره عبيد الله بن زياد والذي كان دخوله الكوفة قد أحدث زلزالاً فورياً لوضعه اليد على المجسات الاجتماعية الخفية لحركة المجتمع الكوفي وأخذ يوجه إيعازه عليها بخبثه ودهائه ومكره.

وهنا يجب الانتباه إلى هذا التساؤل المهم والخطير وهو كيف يمكن الوصول بالمجتمع إلى التماسك وعدم الانزلاق مرة أخرى في مثل هذه الأحداث الخطيرة؟ **وللإجابة بإجمال نقول: لا يمكن لنا الوصول إلى ذلك إلا بالتحصين الاجتماعي بالوعي الثقافي الثوري الأصيل وخلق جيل من الشباب المؤمن المتبصر الواعي من خواص الحق الذين لا تزلهم الرياح ومشتهيات الأرواح، ونحن في العراق، الأرض التي عليها دارت أحداث التاريخ وتكررت مِراراً دون أن نأخذ العبرة مما حدث، فمجمل تاريخ الإسلام حدث على هذه الأرض، وان البصرة والكوفة أرض التاريخ ومقلاة الأحداث والفتن وعليهما جرت مصائب الدهر، ولكن هل وصل مجتمعنا إلى التحصن من الانزلاق في حوادث أخرى أشبه بحوادث كربلاء؟**

العراقيون والعِبرة

لقد شهد العراقيون أحداثاً تشبه إلى حد كبير تلك الأحداث، ولكن دون أن نأخذ العبر مما حدث، وإذا لم تكن هناك عبرة نستفيد منها ونتدارك أَخطاء الآباء والأجداد فلا قيمة للحدثَ أبداً، لقد بكى العراقيون الإمام الحسين سيد الشهداء منذ استشهاده إلى هذا اليوم لكنهم لم يستطيعوا أن يمنعوا وقوع الحوادث المشابهة، فلقد قتل بني أمية والعباسيون جملة من الأئمة عليهم السلام، قتلوا الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد وباقي الأئمة عليهم السلام على مرأى ومسمع من أهل العراق دون أن يكون هناك نتيجة لصالحهم، ولم يكن بمقدور الشعب العراقي التحصن الكافي أمام حكام الجور ومنعهم من اقتراف الجريمة بحق رموزه ومقدساته حيث اشترك جمهور غفير مع السلطة وانحاز إلى جانبها في حين كبا جمهور غفير آخر أمام إغراءات السلطة وانصاع أمامها متخاذلاً خائفاً فيما ثبتت فئة قليلة لم تنهار ولم تيأس إلا أنها انقسمت نصفين نصف استسلم للموت طوعاً حيث لم يواجه السلطة بالسلاح وبقي منتظراً ردود فعلها

الذي لم يتأخر باعتقاله وإعدامه، في حين كان للنصف الآخر شرف السلاح والمقاومة والشهادة وإدامة الجهاد في طريق الحق والحفاظ على جذوته.

الشهيد الصدر وتكرار الحدث... سفارة أخرى

لقد تكررت تجربة مسلم بن عقيل في العراق إبان نجاح الثورة الإسلامية في إيران ومجيء الإمام الخميني وعودته بالنصر المؤزر وإسقاط حكومة الشاه هناك، لقد كان العراق البلد المرشح فوراً لنجاح الثورة الإسلامية فيه لتكامل أسس ودوافع قيامها، وتحرك المرجع الشهيد آية الله محمد باقر الصدر قدس سره وذهب أهل العراق إلى مبايعته في بيته في النجف وربما وصلت الحشود إلى مليون أو أكثر ولكن ماذا حصل للشهيد الصدر ولهؤلاء المبايعين من أبناء العراق آنذاك، لقد تكرر المشهد الكوفي دراماتيكياً عندما تعاملت سلطة البعث مع الشعب العراقي مستفيدة من تجربة عبيد الله بن زياد حتى من شعاراته التي رفعها البعثيون، لقد قالوا للناس: من ليس منا فهو ضدنا وقال المقبور صدام: (نحن أقوياء بلا غرور ومتواضعون

بلا ضعف) وهو نفس شعار عبيد الله بن زياد مع بعض التغيير الكلامي... ثم أنهم دسوا مخابراتهم بالإشاعات والأقاويل المغرضة وأحضروا رؤساء العشائر في العراق وأعلموهم بمجريات ما يحدث وأنهم مسؤولون عن كل ما يحدث وسوف ينالهم العقاب الصارم، فمنهم من هُدد ومنهم من أُغري بالمال والسلاح والسلطان وقد استجاب الجميع إلا القليل منهم. ووصل الحد إلى إغراء الآباء والأمهات بأبنائهم والأخوة فيما بينهم والعشيرة فيما بينها وفرضوا على بعض العشائر رؤساء من حزب البعث فيما سخّروا الشعراء والفنانين وأصحاب الحرف للتغني بأمجاد السلطة ورموزها واستطاعوا بذلك كسر الحلقات واحدة تلو الأخرى ولم يبق مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر أحد أبداً، وبذا فإنه كان بمقدور خمسة فقط من أزلام النظام أن يفرضوا حصاراً جبرياً على السيد الصدر وغلق بابه ووصل الحد به وعائلته أن يموتوا جوعاً لولا ما كان يوصله بعض الأشخاص الأبطال عبر سطح الدار من قوت يسير، وعندما اطمأنت السلطة أن لا أحد يستطيع أن يرفع رأسه عمدت إلى اعتقال السيد الشهيد الصدر من بيته وإعدامه وتسليمه بهدوء

دون ضجيج وقد استسلم الجميع، ثم ما لبث النظام أن يحدث نفس الزلزال الدراماتيكي في العراق وان يدير عقارب الساعة إلى الوراء حشد من هذا الشعب جيشاً عرمراً للهجوم على إيران الإسلامية ليقاتل به ويخوض أقسى وأطول حرب عرفتها القرون الأخيرة من التاريخ راح ضحيتها أبناء ذلك الشعب الذي بايع الشهيد الصدر كقائد منقذ ومرجع تقليده الذي يستقي منه أحكامه الشرعية ومبادئه الدينية في حياته اليومية، وكان مُبيتا ومخططاً له أن يكون اغلبهم من الشيعة ومن البلدين المسلمين ولا من أحدٍ يصيح لإيقاف ذلك الأمر الفضيع حتى من داخل الحوزة التي هي البوصلة الحقيقية لتحرك المسلمين!

واستطاع النظام بذلك أن يعيد نفس مأساة كربلاء بإحداثه لهذه الحرب وإدارتها لتطحن على جانبيها أبناء المذهب الواحد بعد أن عرف صدام كيف يدير اللعبة مستفيداً من تجربة عبيد الله بن زياد، في حين لم يستفيد أهل العراق من حوادث كربلاء وعبرة عاشوراء أيام الكوفيين آنذاك، وأعاد العراقيون نفس المَأساة بآثارها التي امتدت إلى هذا اليوم.

إننا مطالبون اليوم أن ننظر إلى هـذه الحالـة وأن ننظـر إلـى أنفسنا وما حولنا من أحداث خاصة بعد سـقوط النظـام البعثـي المنحط.

تحصين المجتمع العراقي

هل بدأنا فعلاً ببناء الجدار الحصين لمجتمعنـا مـن الثقافـة والوعي السياسي بما يحول دون تكرار هذه المآسي والويلات؟ أم لازلنا فـي درجـة العـوام الـذين يحـركهم زيـد ويـدفعهم عمرو...؟ هل استفاد أبناء العراق من نتائج تجربتهم مـع النظـام السابق الذي دمر كل شيء وحول بلدهم إلـى بـوار وأشـركهم بذلك، ثم سلّم بلدهم إلى قوة استعمارية غاشمة ناهبة ظالمة؟

إن عملية تحصين المجتمع العراقي ليست عملية سهلة، إنها عملية بناء على أنقاض الماضي الذي امتـد أربعـة عـشر قرنـاً بميراثها الثقيل وتجاربهـا المريـرة ولعـل قـصيدة (يـا حـسين بضمايرنا) تحكي قسماً من هذا التراث والمعاناة والتي لا يمكن لها أن تستمر هذه القرون الطويلة لو أن جيلاً سهر وأتعب نفسه على تحصين شعبه ومجتمعه وقدّم وضحّى ليحصل عـلى ما يريـد،

ونحن هنا لا ننكر انجازات العلماء والمخلصين من أبناء هذا الوطن العزيز ولكن نقول إنها لم تكن مشفوعة بما يرسّخها في مسيرة وتحرك أبناء الشعب وذلك بسبب الكثير من الأمور، وعليه فإن أولى الخطوات المهمة لتحصين المجتمع العراقي هي نبذ الفرقة وتوحيد الكلمة بين أبناء المجتمع لمنع حصول التشتت والانهيار الاجتماعي الذي يمكّن العدو من الانخراط والنفوذ بيننا ليمزق وحدتنا ويحولنا إلى طرائق متعددة متصارعة متقاتلة كما هو الآن. كما إن الأهم في ذلك هو التحصن بالوعي الثقافي وترشيد التفكير السليم في تداول الأمور بعين البصيرة في العمل الحزبي والسياسي مع وضع الاعتبار بانقياد الجميع للقيادة المرجعية المتحركة العاملة الحريصة البعيدة عن متع الحياة الدنيا، والدعوة الملحة موجهة إلى كل العاملين الخيرين من أبناء هذا البلد وخواصه ووجوهه أن يبذلوا ما بوسعهم للعمل على إرساء أرضية هذا المجتمع الحصين المتماسك المضحى في ساعات المحنة وكما قال القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٤.

لا بد لنا من اخذ العبر والدروس من عاشوراء وكربلاء. لماذا تستفيد السلطات من إدامة اللعبة السياسية على أهل العراق بعد حادثة عاشوراء وتكرار نفس الأدوار دون أن نلتفت نحن لنعيد نفس الأدوار أيضاً في الاستجابة لطلبات السلطة والتحول إلى صفوفها والتفاني بخدمتها والتخاذل أمامها كما حدث لنا العراقيون من أبناء الشيعة في العراق طاحونة وطحيناً، كما هو الحال أيام مسلم بن عقيل، لقد شاهدنا أن الذين بايعوه بأسمائهم وعناوينهم هم الذين قاتلوه، بالأمس كان الكوفيون جنداً مجندة لمسلم وفي لحظات تحولوا إلى جند لغيره يحاربونه ويقتلونه ويسحبونه في طرقات الكوفة، بالأمس كان الهتاف في شوارع الكوفة يعيش مسلم ويسقط بني أمية واليوم تردد نفس الأفواه الموت لمسلم ويعيش عبيد الله بن زياد ويزيد.

حزب البعث والدور الأموي الخبيث

عندما جيء بالبعثيين إلى السلطة صفق الجميع وتحول جم غفير إلى البعثيين، ورفعت السلطة شعار التقدمية والحرية والوحدة، وزادت في عطاء الجيش والموظفين في بداية السبعينات من القرن الماضي، لتعلن بنفس الوقت أن السيد مهدي بن السيد الحكيم هو جاسوس للأجنبي، وثار الناس ليرجموا بيت المرجع الديني آية الله الحكيم بالحجارة ولولا وجود بعض طلبة العلوم الدينية الباكستانيين للدفاع عن حريم المرجعية أمام الشعب الساخط ويقع منهم الكثير من الجرحى، وانطلت اللعبة علينا وأصبح السيد الحكيم في مرمى السلطة وسخط الشعب وبدأنا نرفع للسلطة تقارير يومية عن حركة المرجعية وارتباطها بالأجانب لأننا تحولنا إلى شعب تقدمي يؤمن بالوحدة والحرية والاشتراكية التي جاء بها (ميشل عفلق) مبشراً بها العراقيين، يا للمأساة! يا للجهل! يا للحقارة! لأننا لم نعتبر بل أصبح البعض بعثياً أكثر من (ميشل عفلق) نفسه الذي يقول: إنه يوحد الله سبحانه في حين أصبح بعض أبناء الشعب

العراقي من الشيعة يؤله حزب البعث ويتخذه رباً لـه كمـا قـال ذلك المدعو (صالح جدوع) مدير مدرسة (القسطل) فـي حـي النور ـ الشعلة في بغداد عندما ترأس اجتمـاع لحـزب البعـث وقال بنص العبارة: كان لنا ربّان هما؛ الله والحزب؛ أمـا الله فقـد ذهب وأما الحزب فهو باق، دون أن يعتـرض عليـه أحـد بـل استقبلوا كلامه بالتصفيق والهتاف للحـزب ودراهمـه ومناصـبه وهذا الحادث لم يكن إلا واحد من الآلف المفردات فـي كـل ناحية وصوب من العراق. فيما توالت الأحداث وتناغمت معهـا استجابة العراقيين شيئاً فشيئاً إلى كل أملاءات الـسلطة وتحـول قسم كبير من الناس إلـى عـاجزين تمامـاً أمـام إرادة الحـاكم الظالم وتنفيذ إرادته مع علمهم بفداحة ما يرتكبون ولكـن دون اعتراض أو مقاومة، وعندما كان العراقي يخيّـر بـين المـوت أو مقاومة السلطة يختار الموت فعلاً لأنه يجـد فيـه الراحـة ولـن يشاهد تبعات المقاومة وما تجره على نفسه من تعذيب وهـلاك ينجر إلى عائلته وعشيرته ومدينته وكل ذلك يجري على أيـدي أبناء جلدته دون غيرهم!!

لقد صنع أهل العراق طاحونتهم بأيديهم وطحنوا بها أنفسهم

وأبناءهم وبلدهم وعندما أرادت الأجيال اللاحقة لواقعة الطف رفع العار عن فعلة الآباء والأجداد قالوا أن مجتمع الكوفة خليط من مجتمعات شتى جاءوا ضمن الجيوش الإسلامية التي كانت تتخذ هذا المكان مثابة لها وان فلان القائد كان من بلاد فارس وان فلان لم يكن من الشيعة وان فلان كان بالأساس فاسقاً يعاقر الخمور وجاءت النتيجة بفعل هؤلاء، إن هذه التبريرات لن ترفع الحيف والعار أبداً لأن الحقائق شيء والتعليقات والتأويلات شيء آخر، إن حقائق التاريخ المدونة تؤكد إن حركة المجتمع الكوفي كانت ضمن سياق لا يتعدى هذه التحليلات، فالمجتمع الكوفي لم يكن بهذا المستوى من التحليل والتأويل لقد كانت العشائر العربية والبيوتات الإسلامية العريقة إلى جانب هذا الخليط الموجود والذي لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جداً قد لا يكون لها أثر في مسيرة الأحداث والدليل أن عشيرة كندة كانت أكبر العشائر وذات الصقل الصقيل في الكوفة والتي كان هانئ بن عروة سيدها وكانت لها كثافة كبيرة في جيش مسلم بن عقيل المنحل دراماتيكياً، وكذلك فإن شخصيات هامة اجتماعياً كانت تعمل في الساحة

كأمثال شريح القاضي وعمر بن سعد وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم ثم أن واقعة الطف وتقاسم الرؤوس لم يتم إلا على أيدي رؤساء عشائر الكوفة وكما ذكرها المؤرخون بالأسماء والأعداد، فأين الخليط الذي لم يكن له حصة في رفع الرؤوس؟ أنها المأساة المتكررة، لقد قطع البعثيون الكثير من رؤوس أبناء العراق وتقاسموا الغنيمة من السلطان وبنفس المسميات والعشائر بنفس المفردات وعلى نفس الوتائر. ويسجل لنا التاريخ المأساوي لواقعة الطف، إن إحدى عشائر الكوفيين جاءت متأخرة عن المعركة وتقاسم الرؤوس وإيرادها إلى الطاغية عبيد الله بن زياد والي الكوفة فوقفت على أرض المعركة وبحثت في جثث الشهداء ولم يجدوا ولا رأسا واحداً، لقد غضبوا على أجساد شهداء الطف ولكن أحدهم قال لهم: إنني سمعت أن الإمام الحسين عليه السلام دفن ولده عبد الله الرضيع في خيمته عندما قتله حرملة بالسهم في نحره، فجاءوا إلى مكان الخيمة وحرثوا الأرض وأخرجوا الطفل وقطعوا رأسه ووضعوه على رمح ولحقوا بخيولهم مع ركب السبايا والرؤوس، لقد سجل التاريخ لنا صوراً من عاشوراء تفلق الأكباد وتطيح

بالقلوب وتزهق بالأرواح ولكن دون أن يستفيد أحدٌ من هذه العبر وما صدحت به من بليغ الدرس وعظيم النصح وشديد الأثر، لقد وصل الأمر بالكثير من العراقيين من قتل أبنائهم تزلفاً للسلطة وطمعاً بالهدية بحجة هروبهم من معركة القادسية التي كان يقودها بطل القادسية صدام الملعون الذي يقود جيش يشكل الشيعة فيه أكثر من (٩٠٪) ليحارب دولة الشيعة الفتية التي أسسها الإمام الخميني بعد الثورة الإسلامية، في حرب أسماها قادسية صدام دامت ثمان سنوات ذهب ضحيتها ملايين من القتلى والجرحى ملأت فيها أكبر مقبرتين للشيعة في البلدين الأولى في قم وطهران لشيعة إيران والثانية في مقبرة النجف وكربلاء لشيعة العراق!!. بعد أن قال لنا المقبور صدام: إن الخميني دجال ورجاله مجوس وصدّقناه كذباً وذهبنا للحرب ودفعنا الأهلون لأنهم كانوا طامعين بقطعة أرض وسيارة وعشرة آلاف دينار هدية القائد الفذ للقتيل الذي سماه المجرم صدام شهيداً وبالأكرم منا جميعاً!! وأكثر من ذلك فقد سمينا قتلانا بالشهداء وإلى هذه اللحظة في حين نحن نعتقد إن صدام الملعون الذي كان يقودنا بالأمس هو كافر ومجرم وقاتل، قتل

(عارف البصري) وقبضة الهدى من العلماء عام (١٩٧٥م) وقتل الشهيد (محمد باقر الصدر) عام (١٩٨٠م) وقتل آلاف العلماء وعلى رأسهم الشهيد الصدر الثاني وآل الحكيم وآل شبر وآل المبرقع وضرب كربلاء بالصواريخ وقتل الشيعة داخل الرواق الحسيني وأغلق المساجد وحاسبنا على التهمة وعمل ما عمل من أفاعيل كلنا يعرفها، والقران يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]، **فلننظر نحن في أي خانة كنا نقاتل؟**

فأين عبرة عاشوراء التي دارت أحداثها على أرضنا وكان أبطالها من أجدادنا أبناء هذه الأرض، أم لم تصرح لنا المثلات بعد، رأيت رجلاً كهلاً في قم كالممسوس شعثاً وسخاً وهو يردد أنا قتلته أنا قتلته، كان الرجل من أهل مدينة الخالص الشيعية، سألت بعض أبناء المدينة هناك عن سر هذا الرجل فأخبرني أحدهم إن لهذا الرجل ولدٌ شاب كان في ربيعه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

السادس عشر كان يرتاد مسجد المدينة للصلاة وتعلّم القرآن والأخلاق الإسلامية، فنصحه الوالد أن يكف عن هذا العمل إرضاءً للسلطة، فلم يستجب كان هذا عام (١٩٧٩م) فذهب هذا الوالد إلى المنظمة الحزبية وطلب منهم تأديب ولده لأنه يرتاد المسجد للصلاة ولم ينتصح ورجاهم أن يعملوا شيئاً لتنبيهه وإخافته من ارتياد المسجد والصلاة وفعلاً جاءوا إليه واعتقلوه وبعد أسبوع استدعت منظمة الحزب والد الشاب وقالوا: له تعال خذ ولدك لقد أدبناه، وجاء الوالد فرحاً مسروراً، فأعطاه مسؤول المنظمة ورقة صغيرة وقال اذهب إلى الطب العدلي في بغداد لتستلم ولدك، فبهت الرجل، فقال له المسؤول البعثي: لقد أدبناه كما نريد نحن، وكما طلبت أنت فلماذا أنت متعجب؟! اذهب، وصاح به ودفعه إلى خارج المنظمة الحزبية، وذهب الوالد ليستلم ابنه جثة هامدة تكاد تكون مقطعة من شدة تأديبهم له. وجن الأب وألقي هو وعائلته على حدود إيران ليستقبله مجوس إيران كما كنا نسميهم في ذلك التاريخ، ويسكن في قم المقدسة بينهم، عند السيدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام. هذه هي مأساتنا منذ ألف وأربعمائة عام، ابن طوعة المسلم

الشيعي يسلم مسلم بن عقيل ويخبر عبيد الله بن زياد بأنه في بيتهم حلَّ ضيفاً عزيزاً عندهم، ومسلم آخر يسلم أولاد مسلم رؤوساً مقطوعة لأنه أبلغ عند الأمير عبيد الله بن زياد... وآخر يبكي على أقراط أحد أطفال الطف ويقول آخذها أنا لأنها في النتيجة تؤخذ منكِ يا بنت رسول الله، ورجل مسلم آخر يذهب للطاغية ويقول:

أملأ ركابي فضة أو ذهبا أني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا

وآخر... وآخر... وآخر...

لنسأل أنفسنا كم منا أخذ العِبرة من عاشوراء وأحداث الطف وكربلاء.

بين فرعون وصدام الملعون

لقد أخبر القرآن الكريم عن إستراتيجية فرعون ونظريته السياسية في الحكم وقال جل من قائل: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[1]**... لكنه رسخ قبل كل شيء هذا الاستخفاف في عقولهم ومقدساتهم وأنفسهم وبعدها قال لهم:** ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[2]**... وهكذا عمل صدام الملعون مع الجيل الذي ناصره وعايشه وإنا لا نقصد في كلامنا كل أبناء ذلك الجيل بل من استجاب له ولنظامه وصفق وانتمى وأيّد ممارسات الحزب وقائد العصابة الهالكة... وكتب لهم التقارير ووالاهم وداهنهم وسلم لهم أموره وإدارته.**

إن هذا القطيع من الناس والذين لم ينتهوا من مجتمعنا، لقد استطاع صدام مع هؤلاء أن يمسخ عقولهم ويشوه أفكارهم ويقلب الصورة لديهم فالخير والصلاح والأخلاق والإنسانية

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٩.

انقلب عندهم لتصبح هذه من أعمال الشر التي يجب أن يعاقب عليها الإنسان، وفعلاً عملوا على إنزال هذه العقوبة بالخيار ثم انه مسخ واستخف بالحرمات والمقدسات فتجاوزها إلى أبعد الحدود، ثم هبط بهم إلى مسخ واستخفاف المعتقدات الدينية والتشريعية، وجعلها من مخلفات التخلف والرجعية وعاقب عليها، ثم نزل بهم الاستخفاف بالدماء والأموال وحرمة الإنسان الذي أصبح في نظام صدام لا يعادل عنده بعوضة، وقتل الآلاف من أبناء العراق وأصبح مفردة وممارسة يومية عادية، ليكتشف الناس بعد ذلك مئات القبور الجماعية التي ضمت رفات الملايين من العراقيين، ويصادر أموالهم وممتلكاتهم... وأصبحت هذه الظواهر من معتقدات النظام المقبور الذي انتمى إليه جم غفير من الناس من أبناء قرانا ومدننا وبلدنا ومن أبناء عشائرنا وعوائلنا التي ننتمي إليها. وكانت النتيجة أن ينتهي هذا الظلم والتعسف وينتهي معه جيل المأساة بلا عودة.

هل سنلتقط أنفاسنا من جديد؟

بقي أن نفهم أن الله سبحانه هيأ لنا ظرفاً للاستفادة من مأساة الماضي وعدم تكرار أخطائه ولنفهم جميعاً بأننا مسئولون عن استغلال هذه الفترة من المقطع الزمني والتاريخي وإننا محاسبون أمام الله سبحانه وأمام الأمة وأمام الوطن الإسلامي في العراق من التأخير والجمود والانكفاء لا سمح الله عن اخذ زمام المبادرة بأيدينا، ولا يتم ذلك إلا بالعودة إلى معتقداتنا الأصيلة التي تربطنا بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومسيرتهم وأن لا تفرقنا الأحزاب والتكتلات والقيادات والمنظمان التي ننتمي إليها عنهم عليهم السلام، ونرتفع بها إلى مستوى الخلاف والتقاطع فيما بيننا وهذا لا يسمح به الدين أو المعتقد وطريقة أهل البيت عليهم السلام. إن القاسم الأعظم الذي يجمعنا هو الولاء لهم فقط وليس لِما ذكرت من أحزاب وجمعيات أو عشائر أو ما شابه من انتماءات، وهذه الانتماءات عرضية إذا ما اصطدمت بوحدتنا ومعتقداتنا فلا نضرب بها إلا عرض الحائط، وليس لها أية قيمة أمام ذلك وإلا فنحن الخاسرون وستحل بنا المأساة مجدداً إذا لم نعتبر بأحداث الثورة الحسينية.

لقد انحل جيش مسلم بن عقيل هذا الجيش الشيعي وذهب إلى كربلاء لمواجهة الحق بسبب هذه الولاءات العرضية التي فرضت على هؤلاء الأتباع للذهاب للمعركة وقتال الإمام الحسين عليه السلام وكان قسم منهم ـ ما ذكرت الأخبار ـ يبكي ويرتجف والقسم الآخر لحق بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد معه عندما تخلى عن هذه الولاءات والانتماءات، وأنت لست ببعيد عن الحر الرياحي رحمه الله، ولو كان الانتماء إلى الحسين عليه السلام لم تقع المأساة ولم تكن هناك قوة بشرية على الأرض تنتصر على الحسين عليه السلام وأصحابه ولكان تاريخ البشرية تاريخ آخر غير الذي نقرأ، فإذا كان الانتماء الحزبي أو الطائفي أو العشائري مدعاة للفرقة والجدال والصراع مع أبناء العقيدة الذين ينتمون إلى ولاءات أخرى، فقد حلت المأساة وذهب الجميع إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام خصوصا إذا كانت الدنيا والأموال والمناصب والامتيازات هي النصاب وإليها نتراكض وعليها نتصارع!

الشموخ في الهاوية

وكما أسلفنا فإن أحد أهم فصول المأساة في كربلاء هي التراكمات التي حصلت بعد رحلة النبي ﷺ حيث أصبح المال والمنصب والسلطة إحدى ركائز الشخصية الإسلامية وأهم سماتها وأصبح الطمع والركض وراء المال يشمل الجميع خواصاً وعواماً والحصول على المال بأي طريقة كان هو الهم الأول وقد رأيت كيف أصبح كبار الصحابة من أصحاب التاريخ الجهادي والتراث الحربي وكبار أصحاب رؤوس الأموال، وأحسن مثال هو شخصية الزبير المدافع الأول والعنيد الذي كسر سيفه على أعتاب بيت فاطمة عليها السلام عندما وقف في وجه عمر وأصحابه عند هجومهم على بيت الزهراء عليها السلام في قضية السقيفة ووجهوا له أنكى الكلمات حيث قال عمر: «اكسروا سيف هذا الكلب» ثم إن هذه الخلافة تغدق عليه الأموال والمناصب ليتحول سيف الزبير المكسور دفاعاً عن الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين إلى سيف صارم بوجه إمامه وسيده علي عليه السلام ويقاتله بعد أن جند لحربه نصف العراقيين في معركة

الجمل!! ماذا دهى هذا الرجل؟! وعندما قبض أمير المؤمنين على سيف الزبير وقال كلمته المشهورة: «طالما والله جلى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولكن الحين ومصارع السوء» وأنا أسأل من منا يمتلك هذا الرصيد الجهادي الضخم الذي لا يوزن ولا يوصف بشيء بعد هذه الشهادة له من أمير المؤمنين عليه السلام؟ ولكن ما هي عاقبة جهاد هذا الرجل؟ ماذا اخذ معه إلى الآخرة؟ ماذا قدّم؟ ماذا ترك من أموال تقطع بالفؤوس كما رأيت في تركته...؟ ماذا أراد أن يصل إليه في هذه الدنيا من مقام أو منصب أو أموال؟ لقد تغيرت به الحال حتى في منطقه، عندما جاء إلى البصرة ودخل بيت المال ماذا قال لابن حنيف والي البصرة؟ قال: سمعنا يا أهل البصرة إن لديكم دراهم جئنا لنتقاسمها معكم! نعم، هكذا غيّرت الدراهم مسيرة هذا الرجل المغوار إلى لص يسترق من أموال الحفاة والضعفاء والمساكين ثم ينهزم حائراً لا يعلم أين يذهب ليقطف رأسه خارجي مثله يُدعى ابن جرموز لتنتهي حياة ابن صفية بهذا الشكل المأساوي الذي اختاره بيده وسعى إليه برجله، فهل يعتبر السادة الآن من أصحاب هذا التاريخ والتراث من اللاهثين

وراء البريق الأصفر والأبيض؟ أم هل سيختارون خدمة هذا الشعب المظلوم المغتصب الفقير والبلد المحتل والمُغار عليه وعلى ثرواته وأمواله تحت وطأة الاحتلال...؟

ألم يضرب لنا القرآن الكريم المثال حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[1].

لقد كان قارون الساعد الأيمن لنبي الله موسى عليه السلام ولكن أغرته الأموال وبدأ يكدسها أرصدة بلغ مفاتحها ـكما أشار القرآن الكريمـ من حمل ينوء بالعصبة أولي القوة! وماذا حل به؟ وماذا كان مصيره؟ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦ ـ ٧٨.

فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ﴾[1] **وانتهى الأمر...**

هل من مُدّكر؟

إن الظروف التاريخية والمقطع الزمني الحساس الذي تول وتمخض عن إسقاط أعتى وأقذر حكومة طاغوتية ملعونة معادية لأهل البيت عليهم السلام وخاضت صراعاً مريراً مع شيعتهم في العراق لم يسفر إلا عن مئات المقابر الجماعية التي ضمت الملايين من أتباع الحسين عليه السلام وأهل بيته، وكان بمقدورنا أن نطيح بأعتى أنظمة عملاء العالم الاستكباري وتخليص العراق والمنطقة بأجمعها بدون هذا الرقم الهائل من الضحايا لو إننا استخلصنا العِبرة من عاشوراء ولم نكرر أخطاء الأجداد والأجيال الماضية، الذي أصبح تراثاً يدور مع الأجيال.

إن الوعي الرسالي والعقائدي الذي تولّد لدينا في هذا المقطع التاريخي كفيل بان يستخلص من هذا المخاض العسير

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨١.

مجتمعاً متماسكاً متفهماً لعبرة التاريخ الماضي والحديث وأن لا تسيل قطرة دم واحدة بعد اليوم مجاناً بلا فاتورة غالية يدفعها الأعداء، لقد كان الأعداء يتشفون بقتلنا وسمل أعيننا وقطع أيدينا ومصادرة أموالنا ولكن حان لنا الآن أن نبني هذا المجتمع المنيع المقاوم المعُتبر المتبصّر الذي بمقدوره أن يصمد وأن يقاوم، وأن يبني مستقبله المشرق بأيدي أبنائه بعد أن يلمم جراح القرون الماضية ويستخلص من الأحداث عصارة حياته الآتية ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن ينصر الله ينصره.

اللهم أنصرنا وثبت أقدامنا

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الإهداء ٥
المقدمة ٧

الفصل الأول: دور الخواص والعوام في الجهاد

معنى الجهاد في الإسلام ١٣
استلهام العبر من التاريخ ١٦
استرخاء الأمة وغفلتها ٢٠
الخواص والعوام ٢٣
والخواص قسمان: ٢٦
الخواص من أتباع الحق ٢٨
عندما يتهافت الخواص ٣١
خطى الانحراف ٣٣
علي عليه السلام في مواجهة الانحراف ٣٥
خذلان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٣٧
الخواص يخذلون حسيناً ٣٨

خواص الحق مع الحسين عليه السلام ٣٩
تساقط الخواص ٤١
أهل الكوفة في المخاض ٤٣
كونوا من الخواص ٤٦
مأساة مسلم وموقف شريح القاضي ٤٨
الخواص وحركة التاريخ ٥٠
الموقف الحاسم في اللحظ الحاسمة ٥١
عتب حزين وأسف عميق ٥٢
فشل تجربة الجزائر المسلمة ٥٣
القرار الحاسم للإمام الخميني وتنفيذ الخواص ٥٤
النصر الإلهي للخواص المخلصين ٥٥
تشخيص الهوية ٥٧

الفصل الثاني: استخلاص العبر من تاريخ عاشوراء وتدارك أخطاء الماضي

استخلاص العِبرة من التاريخ ٦١
مسلم في الكوفة ٦٣
البطل الوحيد ٦٥
الإمساك بخيوط الحقيقة ٦٦
العراقيون والعِبرة ٦٨
الشهيد الصدر وتكرار الحدث... سفارة أخرى ٦٩
تحصين المجتمع العراقي ٧٢
حزب البعث والدور الأموي الخبيث ٧٥
بين فرعون وصدام الملعون ٨٣
هل سنلتقط أنفاسنا من جديد؟ ٨٥
الشموخ في الهاوية ٨٧
هل من مُدّكر؟ ٩٠

الفهرس ٩٣